في صحبة الرسول

ع. ع

(٢)

قلت في المقال الماضي[١] :

– كان رسول الله ﷺ يحسّ بإحساس الناس ويشعر بشعورهم ، ولا بُدَّ لي أن أضيف إلى ذلك أنه لم يكن يحس بإحساس الناس وحدهم ؛ ولكنه كان يحس بإحساس كل مخلوق :

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال :

كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ ، فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ ، فَرَأَيْنَا حُمَّرَةً [٢] مَعَهَا فَرْخَانِ ، فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا ، فَجَاءَتِ الْحُمَّرَةُ فَجَعَلَتْ تُعَرِّشُ [٣] ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ :

– « مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بوَلَدِهَا ؟ رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا » .

وَرَأَى قَرْيَةَ نَمْلٍ قَدْ حَرَّقْنَاهَا ، فَقَالَ :

– « مَنْ حَرَّقَ هَذِهِ ؟ »

قُلْنَا :

– نَحْنُ

قَالَ :

– « إِنَّهُ لاَ يَنْبَغِي أَنْ يُعَذِّبَ بِالنَّارِ إِلاَّ رَبُّ النَّارِ » .

رواه أبو داود بإسناد صحيح ، وأخرجه البخاريُّ في « الأدب المفرد »

(١) أنظر إلى عدد الرائد ٢٣٦

(٢) الحمّرة : طائر صغير .

(٣) عَرّش الطائر : ارتفع وظلّل بجناحيه على من تحته

رسول الله ﷺ يحسّ بإحساس هذا الطائر الصغير ، ويشفق عليه وعلى فرخيه ، ويلوم أصحابه ويُنْكِر عليهم ما فعلوه ، ويأمرهم بردّ ما أخذوه

أليس في ذلك درس في عالمنا وعصرنا لأولئك المستعمرين الظالمين ، والحكام المستبدين ، والتجار الفاسدين ، الذين يخربون المدن والبيوت ، ويقتلون الأطفال كما يقتلون الرجال والنساء ، ويعذبونهم ، ويلقون بهم في غياهب السجون ، ويفجعون بهم الآباء والأمهات ، ويسرقونهم أو يشتروهم أو يخدعونهم ليستثمروهم في أسواق المخدرات والجنس ، أو يبيعوا أعضاءهم وجوارحهم للراغبين كما تباع قطع الغيار

رسول الله ﷺ يلوم أصحابه وينكر عليهم أنْ حَرّقوا بعضَ بيوت النمل ، وينهاهم عن مثل هذا العمل الذي لا ينبغي أن يقع فيه أحد من البشر

أليس في ذلك درس في عالمنا وعصرنا لمن يحرقون بصواريخهم وطائراتهم وقنابلهم الذكية والغبية المدن والناس والحياة والأحياء ، دون أن يَطْرِف لهم جفن ، أو يهتزّ لهم ضمير ، أو يُضرّج وجوههم حياء

وما أروع الإسلام! وما أروع رسول الإسلام إذ يبين لأتباعه ولسائر الناس واجب رعاية الحيوان والأحياء ، وأنّ الإنسان يدخل بمعاملته للحيوان والأحياء ، وبإحسانه أو إساءته إليهم الجنّة أو النار :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

– « بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ ، فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ ، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ ، فَقَالَ الرَّجُلُ :

– لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ قَدْ بَلَغَ مني ، فَنَزَلَ الْبِئْرَ ، فَمَلأَ خُفَّهُ مَاءً ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بفِيهِ حَتى رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ » وفي روايةٍ للبخاري : **« فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ ، فَغَفَرَ لَهُ ، فَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ »**

قَالُوا :

– يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا ؟

فَقَالَ :

- « **فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ** » رواه البخاري ومسلم

أي في الإحسان إلى كل كائن حيّ أجر

وفي رواية لهما :

- « **بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ** (٤) **قَدْ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا** (٥) **فَاسْتَقَتْ لَهُ بِهِ ، فَسَقَتْهُ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ** »

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ قال :

- « **عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ . لاَ هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلاَ سَقَتْهَا إِذْ حَبَسَتْهَا ، وَلاَ هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ** » رواه البخاريّ ومسلم

ونهى رسول الله ﷺ عن العبثِ بالحيوانات والطيور وإيذائها ، كما كان يفعل بعض السفهاء والأغرار طلباً للمتعة واللهو ، ولَعن من يمارسون هذا العمل القاسي الكريه

عن ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّهُ مَرَّ بِفِتْيَانٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ نَصَبُوا طَيْرًا وَهُمْ يَرْمُونَهُ ، وَقَدْ جَعَلُوا لِصَاحِبِ الطَّيْرِ كُلَّ خَاطِئَةٍ مِنْ نَبْلِهِمْ ، فَلَمَّا رَأَوُا ابْنَ عُمَرَ تَفَرَّقُوا ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ :

- « **مَنْ فَعَلَ هَذَا ؟ لَعَنَ اللَّهُ مَنْ فَعَلَ هَذَا ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَعَنَ مَنِ اتَّخَذَ شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا** (٦) » رواه البخاري ومسلم

وعَنْ عَبْد اللَّهِ بْن مُغَفَّلٍ قَالَ :

- نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْخَذْفِ (٧) وَقَالَ :

« **إِنَّهُ لاَ يَقْتُلُ الصَّيْدَ ، وَلاَ يَنْكَأُ الْعَدُوَّ ، وَإِنَّهُ يَفْقَأُ الْعَيْنَ ، وَيَكْسِرُ السِّنَّ** »

---

(٤) ركيّة : بئر

(٥) الموق : الخفّ

(٦) الغرض : الهدف والشيء الذي يُرمى إليه .

(٧) الخذف : رمي الحصى بالسبابة والإبهام .

وفي رواية : أَنَّ قَرِيبًا لابْنِ مُغَفَّلٍ خَذَفَ ؛ فَنَهَاهُ وَقَالَ :
– إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنِ الْخَذْفِ وَقَالَ : « **إِنَّهَا لاَ تَصِيدُ صَيْدًا** »
ثُمَّ عَادَ [القريب إلى الخذف] ، فَقَالَ ابْنُ مُغَفَّلٍ :
– أُحَدِّثُكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنْهُ ، ثُمَّ تَخْذِفُ !؟ لاَ أُكَلِّمُكَ أَبَدًا .
رواه البخاري ومسلم

ونهى رسول الله ﷺ عن حبس البهائم وحرمانها من حقها في الحرية والمرح واللعب قبل أن تذبح :
عن أنس رضي الله عنه قال :
– « **نَهَى النَّبِيُّ ﷺ أَنْ تُصْبَرَ الْبَهَائِمُ** [٨] » رواه البخاري ومسلم

وكما نهى رسولُ الله ﷺ عن إيذاء الحيوان وإرهاقه وظلمه ، نهى عن إهانته وتشويهه ، والعدوان على " كرامته " و " جماله " ، وحرص على وقاية وجهه مما يؤلم ويسوء كما يوقى وجه الإنسان :
عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ عَلَيْهِ حِمَارٌ قَدْ وُسِمَ [٩] فِي وَجْهِهِ ، فَقَالَ :
– « **لَعَنَ اللَّهُ الَّذِي وَسَمَهُ** » رواه مسلم
وفي رواية لمسلم أيضاً :
– « نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الضَّرْبِ فِي الْوَجْهِ ، وَعَنِ الْوَسْمِ فِي الْوَجْهِ »

ولقد طال بي الحديث في هذا الموضوع وإن كنت لم أستوفه بَعْدُ ، فالأَقِفْ بالقارئ الكريم هنا ، ولأنتقلْ به إلى جوانب أخرى من شمائل الرسول في صحبتنا له ﷺ .

– للكلام صلة –

(٨) أن تُصبر البهائم : أن تحبس قبل القتل
(٩) وسَمَ الشيء : كَواه فأثّر فيه بعلامة